الفاشستية

ومبادئها القومية والاقتصادية

للاستاذ محمد عبد الله عنان

كانت مبادىء الثورة الفرنسية روح الحركات الدستورية والديموقراطية التى جاشت بها معظم الامم الاوروبية خلال القرن التاسع عشر ، وكانت الحريات الدستورية والديموقراطية الى ماقبل الحرب هى المثل القومية والشعبية العليا . ولكن الحرب صدعت من صرح المبادىء الحرة والانسانية ، وبثت الى الامم والجماعات الاوربية كثيرا من النزعات الرجعية ، فاستردت القومية المتعصبة سابق قوتها وعادت الاحقاد القومية الى سابق اضطرامها ، وشغلت الديموقراطية بخلافاتها ومعاركها الداخلية عن مواجهة الخطر الذى يهددها . ولم تلبث الحركة الرجعيـــة حتى احرزت فوزها الاول بقيام الفاشستية الايطالية ، ثم بقيـام حكومات طغيان أخرى فى اسبانيا وبولونيـا وبوجوسلافيا تحتقر الحقوق والحريات الدستورية وتعمل لسحقها ، وان كانت مع ذلك لاترى بأسا من أن تستتر وراءها وتعمـــل باسمها فى أحيان كثيرة . ولم تكن الفاشستية الايطالية حين قيامها واستئثارها بمقاليد الحكم والسلطان فى ايطاليا ، سوى حركة محلية قامت فى ظروف خاصة ، ولم يكن يقدر لهـا يومئذ انها ستغدو ذات يوم فكرة قومية تهب ريحها على كثير من الامم الاوربية الأخرى ، وانها ستغدو نظاما عاما للدولة يطبق اليوم فى دولة عظيمة أخرى هى المانيا مع خلاف يسير فى الوسائل والغايات ، وتقتبس منه اليوم دول أوروبية أخرى كالنمسا التى اصدرت دستورها الجديد على أساس المبادىء الفاشستية ، بل تذاع اليوم دعوته فى بلاد ديموقراطية عريقة كانكلترا يقوم بها حزب يدعو الى النظام الفاشستى .

وظفر الفاشستية على هذا النحو يدعو الى استعراض المبادىء الجوهرية التى تقوم عليها ، والظواهر الخاصة التى تتميز بها . ويجب أولا ألا ننسى ان الفاشستية تشترك مع البلشـــفية فى الاستئثار بجميع الســـلطات والسيطرة على جميع موارد الدولة ، وأن الفـاشستية من حيث هى نظام طغيان مطلق تشبه البلشفية كل الشبه . بيد أن هنـالك فروقا جوهرية بينهما فى الوسائل والغايات ستأتى عليها فيما بعد . ودعامة الفاشستية الاولى هى الفكرة القومية ، وعليها تقوم جميع مبادىء هـذا النظام ، واليها ترجع جميع غاياته ؛ فالفاشستية ترى أن « الأمة » هى حقيقة طبيعية تاريخية ، مثلها الاعلى هو أن ابناء البلد الواحد اخوة تجمعهم رابطة القومية العامة ، ولاتحقق سعادة الامة بقيام فريق منها ضد فريق آخر ولا طبقة منها ضـد طبقة أخرى ، بل يجب أن تنظم جميع الطوائف والطبقات والقوى لصالح الامة المشترك ، وباسم الوطن الواحد . وترى الفاشستية انها جديدة طريفة فى جوهرها فهى لاتريد أن تصلح او تحيي نظما قائمة ، ولكنها تدعى انها تقيم حضارة مكان حضارة ، وتنشىء نظما جديدة لبناء الدولة والمجتمع مكان نظم ذاهبة ؛ وعندها ان جميع المبادىء والنظم القديمة قدعفت ولا تصلح بعد للعمل على احياء الحضارة أو المجتمع ، ولا بد أن تقلب من أساسها ، وأن تبدأ الحضارة والمجتمع حياة فتية جديدة على ضوء المبادىء والنظم الجديدة . والدولة الفاشستية لاتقوم على النظام الرأسمالى ، ثم هى لاتقوم أيضا على النظام الاشتراكى ؛ فالانسان لم يخلق فى نظرها لكسب المال فقط ، ولم يخلق أيضا ليقاتل المحظوظين والمنعمين من بنى وطنه ، ولكنه خلق ليؤدى واجبا اعظم من ذلك واسمى هو الواجب القومى .

واذا كانت الجامعة القومية هى دعامة النظام الفاشستى ، فان الفكرة التعاونية هى روح هذا الاتجاه القومى ؛ وهى اهم ظاهرة فى تكوين الدولة الفاشستية : فالدولة الفاشستية لا تقوم كما تقوم الدولة الديمقراطية على فكرة التنافس الحزبى والطائفى فى سبيل السلطة ، ولكنها تقوم على تعاون جميع الطبقات والقوى القومية . وقد عرف السنيور موسوليني فى إحدى خطبه الأخيرة هذه الفكرة التعاونية فى ما يأتى : « إنها هى الاداة التى تسترشد بها الدولة فى وضع النظام الاساسى الشامل الموحد لجميع القوى المنتجة بالامة للعمـــل على تنمية موارد الشعب الايطالى وقوته السياسية ورفاهته » وفى قوله « لقـــد اعطى النظـام الرأسمالى والنظام الاشتراكى كل مايمكن أن يعطياه ، ونحن نرث من كل منهما كل مافيه من العناصر الحيوية » . ويلاحظ ان الفاشستية لبثت بعد قيامها مدى اعوام قبل أن تضع الفكرة التعاونية موضع

التطبيق وتتخذها أساسا لتنظيم الدولة الاجتماعي والسياسي ، ففي ابريل سنة ١٩٢٧ اصدرت حكومة روما « لائحة العمل » وهي القانون الاجتماعي الاساسي للدولة الفاشستية ؛ وفيه تعرف الدولة التعاونية وتشرح نظمها ويشرح قانون العمل المشترك وضماناته والاعمال التعاونية وتربية العمال . وترى الدولة الفاشستية أن العمل ليس مجهودا يبذله العامل لكسب قوته ، وينتفع به صاحب المال ، وليس هو الذكاء أو الجرأة او الاثرة التي تحرك النظام الرأسمالي ، ولكن العمل طبق النظرية الجديدة هو مجموعة صنوف النشاط التي ترمي الى تنمية موارد الامة المعنوية والمادية ؛ والنظرية الفاشستية تبعد هنا كل البعد عند مبدأ الحرية الاقتصادية وقانون العرض والطلب ؛ وتقدم الفكرة المعنوية على كل هذه الاعتبارات ، فكل عضو في جماعة عاملة عقلية أو فنية او مادية إنما هو قبل كل شيء من ابناء الدولة ، وهو يدخل بذلك الاعتبار في دائرة القانون الخاص ، والقانون العام ، بل يدخل في دائرة القانون الدستوري . ولم تقف الفاشستية في تطبيق الفكرة التعاونية عند الناحية الاجتماعية ولكنها خطت في سنة ١٩٢٩ خطوة اساسية أخرى ، فطبقتها من الوجهة الدستورية ، وقررت تحويل التمثيل السياسي الى تمثيل تعاوني ؛ واجريت الانتخابات البرلمانية لمجلس يتألف اعضاؤه من ممثلي النقابات والجماعات التعاونية . وأخيرا منذ ايام قلائل فقط اصدرت الفاشستية كلمتها الفاصلة في النظام البرلماني فقررت الغاءه وبذلك قضت الدولة الفاشستية على آخر المبادىء والآثار الراسخة التي تقوم عليها الديموقراطية ، وأضحت تقوم على مبادئها الخالصة الاجتماعية والسياسية .

وتشترك البلشفية مع الفاشستية كما قدمنا من حيث هي نظام طغيان مطلق ، ولكن البلشفية تقف في الطرف الآخر معارضة للفاشستية كل المعارضة في الفكرة القومية . فالبلشفية تقوم قبل كل شيء على مبدإ نضال الطوائف والطبقات الاجتماعية ، وعلى مبدإ سيادة الكتلة العاملة ؛ وترى البلشفية أن التاريخ لم يكن في جميع عصوره سوى نضال بين الطوائف ، وأن قوى الامة الحقيقية ومواردها تتكون قبل كل شيء من العمل أو مجهود الكتلة العاملة ؛ وشعارها هو سيادة الكتلة العاملة ، ولا تتحقق هذه السيادة الا بسحق الطبقة الرأسمالية ؛ وهذا هو الفارق الجوهري بين البلشفية والفاشستية . فالاولى تقوم مهمتها الاجتماعية والاقتصادية على نضال الطوائف ، وتقوم مهمة الثانية على الفكرة التعاونية ، ولكن البلاشفة يسخرون من هذه الفكرة ويقولون ان تعاون الطبقات ذات المصالح المختلفة مستحيل بطبيعته ، وان الطغيان الفاشستي يتخذ من التعاون حيلة لاخضاع الطبقات العاملة ، وان هذا التعاون انما هو تعاون الذئاب مع الاغنام . وهنا وثمة فارق جوهري آخر بين النظامين هو أن البلشفية تذهب في برنامجها الهدام الى حدود بعيدة ، فترى أن تحقيق مثلها لا يكون الا بهدم كل المبادىء والنظم القائمة ، واستبدالها بمبادىء ونظم أخرى من تفكيرها وصنعها . ولكن الفاشستية لا تذهب في قصد الهدم الى هذا الحد ، فهي ترى أن تأخذ من النظم القائمة ما يلائم غاياتها ، ولا ترى بأساً من أن تقتبس من الاشتراكية كما تقتبس من الرأسمالية .

وتستطيع الفاشستية أن تدعي اليوم أنها قد أصبحت حركة عالمية بعد أن لبثت الى ماقبل عامين حركة ايطالية محلية ، فبانوها ومثلها السياسية والاجتماعية تسيطر اليوم على أمة عظيمة أخرى هي المانيا . وطغيان « الوطنية الاشتراكية » الذي يفرضه النازيون اليوم على الشعب الالماني يقوم على نفس الوسائل التي شقت بها الفاشستية طريقها الى السلطان والحكم منذ اثنتي عشرة عاما . بيد أن الفاشستية الالمانية تنقصها الطرافة ، ويغلب فيها التقليد على الابتكار ، وتنقصها بالاخص الزعامة الممتازة ، وتقدمها بهذه السرعة يرجع الى وسائل العنف والارهاب أكثر مما يرجع الى وسائل الاقناع والتأثير . وهي في جوهرها كالفاشستية الايطالية تقوم على الفكرة القومية ، وحشد أبناء الوطن الواحد تحت لواء واحد ؛ ولكنها تذهب في فهم الفكرة القومية الى حد التعصب الجنسي والديني الواضح ، وهو حد لم تبلغه الفاشستية الايطالية قط ، فزعماء الوطنية الاشتراكية الالمانية : اعني هرهتلر وزملاءه يمزجون الفكرة القومية بفكرة الجنس والسلالة ويفرقون بين الجنس الآري والاجناس الاخرى ، ويقولون إن الشعب الالماني هو شعب آري أشقر يتفوق بالدم والمزايا الجنسية والفكرية على جميع شعوب الارض ، ويشهرون العداء على غير الآريين ؛ ومن ثم كانت ثورة الخصومة السامية ومطاردة اليهود الالمانيين بحجة أنهم غير آريين وأن وجودهم خطر جنسي واجتماعي على الشعب الالماني ، وهي حركة تعصب شائن لم تضم الفاشستية الايطالية في أي طور من أطوارها

وكانت ذريعة سياسية فى الواقع رأى المخلرين فى اتخاذها تحقيقا لبعض خططهم السياسية والاقتصادية ؛ وتذهب الفاشستية الالمانية الى أبعد من ذلك فتعتبر جميع الاجناس السامية والشرقية أجناسا منحطة ، هدامة للحضارة ، يجب أن يسودها الجنس الآرى

واما من الوجهة الاقتصادية ، فان الفاشستية الالمانية غامضة فى وسائلها وغاياتها . فهى تزعم انها اشتراكية على حين انها ابعد الاشياء عن الاشتراكية . وهى تعتمد فى خططها الاقتصادية على التقليد والاقتباس من الفاشستية الايطالية ؛ فقد اصدرت مثلا قانونا « لتنظيم العمل القومى » على مثل لائحة العمل الايطالية ؛ وجمعت نواحى الانتاج المادى والفكرى فى دوائر معينة مقتبسة نظام النقابات الايطالى . ويعرف الدكتور فدر احد علماء الوطنية الاشتراكية الاقتصاديين مهمة الحكومة النازية فى الميدان الاقتصادى بما يأتى : « ان الوطنية الاشتراكية تعارض فكرة جعل الاقتصاد القومى قوميا . والواقع انه اذا كان من واجب الدولة ان تدير شئون البلاد الاقتصادية فيجب ان يكون شعارها عدم التدخل فى الانتاج ، ومهمة الحكومة الجوهرية هى « التنظيم » فعلى الدولة أن تدير شئون البلاد دون أن تشترك فيها . وهذا هو الباعث الذى يوجه الاقتصاد الوطنى الاشتراكى »

وقد حققت الفاشستية فى ايطاليا دولة قوية ومجتمعا جديدا قويا ، وبذلت جهودا خليقة بالاعجاب لتنمية الموارد القومية وتنظيم الانتاج القومى ، وبثت الى الشعب الايطالى قوى معنوية جديدة ، ورفعت هيبة ايطاليا الخارجية . ولكنا لا نستطيع حتى ازاء هذه النتائج البديعة ان ننسى الوسائل العنيفة التى حققت بها الفاشستية سيادتها وسلطانها ، ولا نستطيع أن ننسى أنها مازالت تحقق ظفرها على حساب الحريات الدستورية والشعبية . واذا كانت الفاشستية قد استطاعت أن تسير حتى اليوم فى طريق التقدم والظفر ، فلسنا نستطيع مع ذلك أن نؤمن بما يقوله زعماؤها ودعاتها من انها أصبحت تتبوأ مكانتها المستقرة الراسخة بين الانظمة السياسية والاجتماعية العريقة ، وانها أصبحت نظام المستقبل ، ذلك أنها تقوم على كثير من العنف وتغليب الارادة الفردية والوسائل المصطنعة ، ولا تتفق فى كثير من مبادئها وغاياتها مع المبادىء والغايات الانسانية المثلى ، وليست من جهة أخرى تتفق مع النزعات الحرة الراسخة التى يمتاز بها التطور السياسى والاجتماعى فى عصرنا ؛ ومن المتفق أنه يوم تبرأ أوربا القديمة من الجراح التى أصابتها من جراء الحرب الكبرى ، ومن الفوضى السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى هزت أسس المجتمع الاوربى القديم ، فان صرح الفاشستية سيأخذ عندئذ فى الانهيار والتطور ، وستعود المثل الحرة والدستورية القديمة الى تبوىء زعامتها وسيادتها فى الدولة والمجتمع ؟

محمد عبد الله عنان
المحامى

حل العقد بقطعها

بعض مواقف الفصل — فقر العالم الى الصاعقة

الناس مفتقرون فى كل حين من الدهر الى رجال يحلون العقد لا بالنفث فيها كما يصنع أهل السحر والشعبذة ، بل بقطعها توفيراً للوقت وكفاية لمؤونة التعب وبرهانا على العبقرية — كما صنع ذو القرنين منذ اثنين وعشرين قرنا . وكما صنع المتنبي منذ عشرة قرون .. وكما صنع لورد كرومر فى أواخر القرن الماضى . وكما صنع مصطفى كمال فى رواية الامريكى الثائه .

ذلك بان جمهرة الخلق قوالون وياعو كلام أكثر منهم فعالين ، سواء فى ذلك منهم خاصتهم وعامتهم . فاذا عرضت لهم عقدة مهما يكن موضوعها اشتغلوا بالحرف وعنقه ، وعدوا عن الروح وجدته . والغالب أن يشكل عليهم فهم الحرف فيروحون يتخبطون فيه وفى تأويله حتى يقوم فيهم من يضرب بالحرف عرض الحائط وينبذ اللفظ ويشرب فى قلبه حب الروح ويفقه المعنى فيحل العقدة باسرع مما عقدت .

ذو القرنين

أما ما صنع اسكندر المقدونى الكبير تلميذ أرسطوطاليس الفيلسوف العظيم فى أوائل القرن الثالث قبل المسيح فهو أنه زار أحد هياكل آلهة اليونان فرأى عقدة معقودة ومحبوكة ، فسأل عنها ، فقال له الكهنة والمتنبئون والسحرة والنفاثات فى العقد : أن من يحل هذه العقدة يفتح آسيا ، فجرب فلم يفلح ، ولكن أومض فى صدره قبس العبقرية التى استمدها من معلمه فلم يلبث أن استل سيفه وحل العقدة بقطعها وترك الذين حوله مصعوقين ، وفتح أمامه السبيل الى فتح آسيا